الوحيدُ وشركاؤه

. نـزيـه أبو عَـــــفَـش ❖ .

وحدَهُ الآن في عُرسِه
يتوسّلُ أصواتَ من شَيّعوهُ إلى قصرِه الهمجيِّ،
ويَمْدحُ وحشةَ هذا الجمالِ الأليمْ.
وحدهُ.
والخليقةُ في الأوجِ تُكْملُ ترتيبَ هيكلها الأوليِّ،
وتَخْطو مُشعَّثةَ العقلِ والشكلِ داخلَ تابوتِها.
وحدهُ.. وحدَهُ
يتشاغلُ عن «وحدِه» باقتفاءِ خُطى العابراتِ على طُرقِ الذكرياتِ
ويُطْلق أسرارهُ في مهبّ الظلامِ العظيمْ.
وحدَهُ.
والطريقُ التي يتسكّع فيها تطولُ ولا تنتهي
(تنتهي حيثُ تبدأُ) قالَ.
وفكّر: ما أهونَ الموتَ!
ما أهونَ الموتَ لولا
أنّ مَنْ كانَ يهربُ منه وحيداً
سيمضي إليه وحيداً.
تلفّتَ ـ في خوفِه منه ـ يبحثُ عن موتِه فيه.
أغمضَ عينًا على نفسِه وتساءَلَ:
أين أنا منهُ؟ أين أنا؟!..

لا غرابٌ يؤذِّنُ! لا ميّتٌ يُستضاءُ بصيحتِه في الظلامِ،
ولا حجرٌ يُستَدَلُّ به!
(ما يدلُّ هو الحُلْمُ) قالَ.
وقال: أنا الآنَ دربي، وبيتي، ومَطْلبُ نفسي
ولا شأن للخوفِ بي.

.....

وحدَهُ، وحدَهُ.
يتجوّل داخلَ أحلامِه
هو، والنورُ، والغيمُ؛ والشجرُ الوحشُ يَنْهشُ قلبَ السماواتِ؛ والطيرُ ـ هاربةً من سفينةِ نوحٍ ـ تُؤبِّنُ نوحًا وأنصارَ نوحٍ وطيشَ مفاهيمِه في استعادةِ بيتِ الحياةِ وتَلقيحِ بذْرتِها.
وحدَهُ، لا شريكَ له في كوابيسِه.
يتأمَّلُ في نفسِه والطبيعةِ واللّهِ.
لا يتألّمُ. لا يتأفّفُ من أيِّ شيءٍ. ولا يتوسَّلُ أجوبةً.
لا يجوع إلى فكرةٍ أو طعامٍ.
فقط: «يتذكّرُ...
يتذكّرُ ما لم يَكُنْهُ وما لم يكنْ
(يتذكّرُ ما سيكون)
فيرى أنه ـ وحدهُ الآن ـ نوحُ الجديدُ؛ ولا أملٌ
(لا يريدُ الأملْ).

❖ ـ شاعر من سوريّة.

وحدهُ: لا الشجاعةُ تعنيه. لا العقلُ يعنيه. لا الأمسُ، لا الغدُ. لا شيء يعنيهِ قطُّ، فما عاد يبصر في الكونِ غيرَ الجمالْ

قاسيًا وعظيمًا.. ويؤلمُ،

وهو وحيدٌ على بابهِ..

والجمالُ وحيدٌ

لا عزاءَ لهُ فيهِ.

.....

.....

يَخْرجُ من حُلْمهِ ناصعًا، ليِّنًا وجديدًا

كما خرجتْ، قَبْلُ، جدّتُهُ الأرضُ من حُلُمِ الماءِ..

يخرجُ منهُ ويدخلُ فيهِ

فكيف يرى غيرَهُ؟!..

.....

وحدهُ الآن في حُلُم العرسِ.

لا شيء يُشْقيهِ قطُّ

ولا شيءَ يُسعِدهُ غيرُ أحلامهِ وتَذَكُّرِ ما كانَ

(ما كان في الغدِ..).

يَقرأ أحلامَهُ ويُدَوِّنها، ويُفسّر ما لا يَرى.

وحدهُ:

أعزل وصغيرٌ

ولا شيء أكبرُ منه سوى نفسهِ

والجمالِ الذي يتشكَّلُ في حُلْمها.

جالسٌ، ها هنا، يتذكّرُ قُدّامَ بابِ الطبيعةِ..

يَحلُمُها من جديدٍ فيجعلها (إذْ هي الآن في خلفِ ما تُبصرُ العينُ) أجملَ من نفسِها في حقيقتها.

أهو اللّهُ؟

أمْ هو «لا أحدٌ» كي يُدَلَّ عليه بما ليسَ فيهِ؟..

هو اللَّهُ؟ أمْ ظِلُّ فكرتِهِ عنهُ؟..

أمْ هو ما لم يكن قد نجا في سفينةِ نوحَ القديمةِ؟

أمْ هو (لا غيرَ) ما يبصر الآنَ في خلف أفكارهِ؟..

.....

يستديرُ إلى خلفِ أفكارهِ ويدلُّ إلى نفسِهِ.

يتذكّرُ ما لا يرى:

شجرًا هائجًا يتسلَّقُ برجَ السماءْ..

شجرًا يَحْلم الماءَ بالعين والقلبِ والذكرياتِ

فلا يَبلغُ الماء...

يتذكّرُ ما لا يرى.

وإذْ يُعمِل العين في دفتر الغيمِ، والصخرِ،

والطير تغزلُ أحلامَهُ الباهتاتِ وتَنْقُرُ عشبَ الحديقهْ

يتذكّرُ أنَّ لهُ خلفَ باب الحقيقهْ

شُركاءَ يحنُّ إلى قبحِ أحلامهم.

.....

.....

يتشتّتُ في بَرِّ أحلامِه ويفكّرُ:
لو أمكن الآن أن أتذكّر شيئًا جديدًا!

❖ ❖ ❖

هو.. مَنْ لا شريكَ له في زلازلِ أحلامِه.
هو، لا أحدٌ غيرهُ، مَنْ يحقُّ له أن يقول:
«أنا مَنْ يحقُّ له أن يقولَ:
أنا صانعي، وسفينةُ نوحي، وبحري،
وزيتونتي، وغرابي.
وأنا ظُلمتي وكتابي.
وأنا ظمئي وشرابي.
وأنا غلطتي وصوابي.
وأنا تيهُ نفسي الجميلُ
ومفتاحُ بابي.
وأنا حيرتي في إعادةِ تشكيلِ نفسي
على صورتي ومثالي الجديديْن..
لا شأنَ للّهِ بي كي أقولَ: تعبتُ،
ولا شأنَ للموت بي كي أقولَ: أريدُ حياتي.
أنا من يحقُّ له أن يقولَ:
أنا ها هنا، في الحقيقةِ والحلْمِ،
أُكملُ تأليفَ نفسي على هَدْيِها
وأُعيدُ، على هَدْيِ ما لا أراهُ،
كتابةَ سِفْرِ القيامةِ.
.....
قالَ: أنا الآن ما يَحلمُ الميْتُ عن نفسِه.
قالها.. وبكى.

❖ ❖

صاحَ: إنّي هنا.
صاحَ: أعرُفني جيّدًا. وأراني. وتُعْجبني صورتي.
صاحَ: لا بدّ من أحدٍ في الصباحِ يرى ويساعدُ.
قال: تذكّرتُ ما كنتُ ناسيَهُ....
قالها، وبكى.
.....
راح يكتبُ في قلبِه: ... «فبكيتُ»
وقالَ: إلهيَ، ما أجملَ الناسَ!
قال: ويعجبني قُبحُهم.
قال: ما أجملَ القُبح!

دمشق